

السبت 21-08-2010

## 1086- رمضان بين الامتناع والإبداع

## تعتة الدستور

## رمضان بين الامتناع والإبداع

ما معنى الامتناع عن سلوك حسبت أنك لا تستطيع أن تمتنع عنه، لماذ نفعل ذلك أحيانا، فرادى بإرادتنا، أو دوريا جماعة معا؟

صأم: أمسك عن الشيء، وصام: سَكَنَ،

أن تمسك عن ما اعتدت أن تقوم به أو تتعاطاه، فأنت صائم، وأن تسكن بعد حركة فأنت صائم (تستعد للحركة القادمة)، بهذا وذاك أنت كائن حي تمارس الإيقاع الحيوى الذى هو قانون فطرة الله التى فطر الناس عليها.

تاريخ الحياة ملئ بالتناوب بين الحركة والسكون، بين الممارسة والامتناع، وحين صار الإنسان إنسانا - بفضل الله- انتظم هذا الإيقاع بين نوم ويقظة، وبين نوم حالم ونوم بدون أحلام، وبين صوم وإفطار، كذلك انتظمت أغلب العبادات وتواكب الشمس والقمر فى دوراتها الحيوية (فى الإسلام كنموذج)، يبدو أن كل هذه الروعة، وكل هذا التاريخ لم يصل إلى بعض الزملاء (والمشايخ) المتحمسين للدعاية للصوم، فعادوا مثل كل عام يسرفون فى تعداد فوائد الصوم بمعلومات عن الطب والصحة ساذجة تستعمل فى غير موضعها حتى تمسخ روعة الصوم وتكاد تطمس حقيقته، وتفسد غايته

الذى يصلنى من كل هذا، خاصة حين يفخر هؤلاء بان الخواجة العلامة فلان الفلان قد أقر واعترف أن الصوم "كويس" جدا للصحة، هذا الدين العظيم بالغ البساطة شديد العمق فى آن، لا تحتاج إقامة شعائره إلى التذكرة بكل هذه المزايا السطحية المفتعلة.

كثير من المتدينين غير البسطاء، ومن المؤلفة قلوبهم، ومن الذين يعبدون الله على حرف، يمارسون مع كل رمضان أمرا آخر غير هذه الرشاوى باسم الصحة، وذلك بأن يلجأوا إلى تغيير نظام العمل والنوم والالتزام بحيث يصبح الصوم مجرد تأجيل لإطلاق طاقات الجشع والنهم، فهم يغترون مواعد

الحضور والانصراف، والنوم واليقظة، وبذلك يتم هو كل ما يمكن أن يترتب "على فضيلة الامتناع" فرادى وجماعات.

ما هذا بالله عليكم؟

العبادة عبادة، فمن شاء فليؤدها، ومن شاء فليمتنع عنها سرا أو علانية، هو وشجاعته وتقاليده مجتمعته، وقلة ذوقه، الصوم بالذات هو لله - سبحانه -، وهو يجزى به!!

ذكر شراً هذا الحديث وجوهاً عديدة في معنى قوله تعالى: "إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به"، مع أن الأعمال كلها له وهو أيضا الذي يجزي بها، رجعت إلى ما تيسر لي من أقوال الشراح، ووجدت أغلبهم قد رأوا أن تخصيص الصوم هكذا هو لأنه الأبعد عن الرياء، فلا أحد يصوم حقيقة وفعلاً، إيماناً واحتساباً، ليعلم للناس أنه صائم، في حين أنه يستطيع أن يفطر بمجرد أن يغلق بابه دونهم، الصائم هو صائم في السر والعلن، لأن الله سبحانه معه في السر والعلن، ولن يستطيع أن يخفى عليه أنه قد أفطر من خلف ظهر الناس، هنا يتجلى الحوار الصامت الملقى بحضور الحق تعالى قريب من عبده، أقرب من حبل الوريد، في العلاج الجمعي نتعلم ونعلم كيف نكف عن استعمال تعبير "لا أستطيع" أو "لا أقدر"، ونقول للمريض نحن هنا "لنجرب" ما لا نستطيع، وليس "لنكرر" ما نستطيع.

في الحياة العادية يتكرر مثل ذلك مع المدخنين مثلاً، حين يصرون أنهم "لا يستطيعون الكف عن التدخين"، وقد بلغ من رسوخ عدم الاستطاعة هذه مبلغاً أن بعضهم يعجز عن صيام رمضان، ليس لجوع أو عطش، ولكن لأنه لا يستطيع أن يمتنع عن ما اعتاد عليه، الأمر الذي ورط الرجل الطيب المبدع جمال البنا في فتوى جواز صيام المدخن وهو يدخن، فأوقعه إبداعه فيما كنت أتمنى ألا يقع فيه.

بداية الإبداع هو أن "تستطيع" ما تتصور أنك لا تستطيعه، أن تكف عن الاتباع لتعيد النظر فيمن تتبعه حتى الاغتراب، أن تتحرك عكس اتجاه عقري الساعة لعلك تمتلك ناصية الزمن، فتخلق زمن الإبداع بما تشاء كيف تشاء.

يأتي رمضان فيسمح للمسلم العادي أن يجرب انه يستطيع ما يتصور أنه لا يستطيعه فإذا به يستطيعه ببساطة وشجاعة وإقدام، يستطيعه سرا وعلانية، وحين تستطيع ما كنت تحسب أنك لا تستطيعه، تتاح لك الفرصة أن تبدأ رحلة الإبداع، هكذا يفتح رمضان لك باباً كان موصداً أمامك، أن تجرب إعادة النظر في كل ما فرض عليك حين لقنوك ما سمح لبعض قدراتك أن تمارسها دون بقية ما هو أنت هذا بعض كرم رمضان، وما لم تسارع بحو آثاره بتغيير نظام يومك، وما لم تشوهه باختزاله إلى فوائد صحية خائبة، يأتي يعرض عليك أن تحاول، في شتى المجالات، ما حسبت أنك لا تستطيعه، بما في ذلك تغيير النظام (عالركة).

هيا قبل ان يعلم حكامنا هذا الاحتمال فيصدروا أمراً بإلغاء رمضان حفاظاً على الأمن العام، وضمناً للاستقرار.